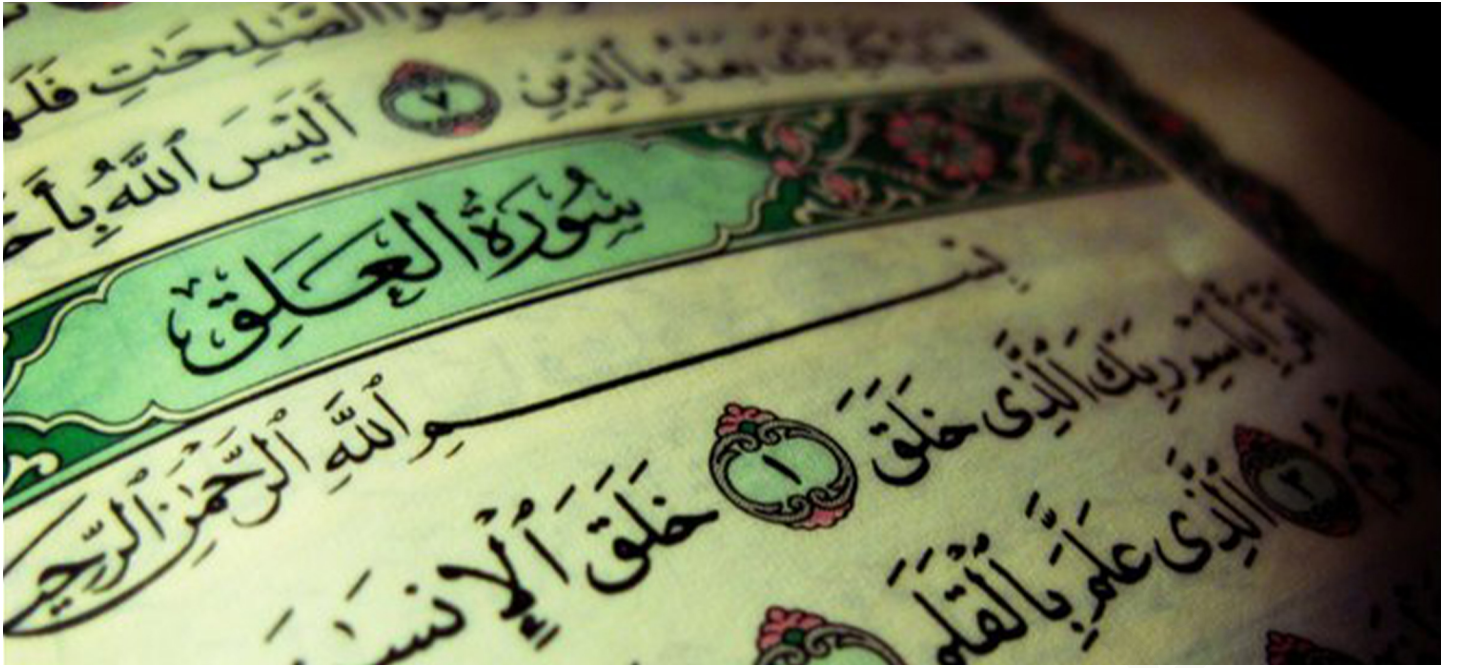




تأملات في سورة العلق

سورة العلق (096)

تدبر القرآن الكريم

2025-05-05

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمنا وزدنا علماً وعملاً مُتَقَبَّلاً يا رب العالمين.

أيها الإخوة الكرام: من تدبرنا في كتاب الله تعالى، نتحدث اليوم عن سورة كريمة، هي أول ما نزل من القرآن الكريم، وهي سورة العلق التي ابتدأها المولى جلّ جلاله بقوله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)

(سورة العلق)

آيات سورة العلق أول ما نزل على قلب نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم:

وتعلمون أنّ هذه الآيات الأولى من سورة العلق، كانت أول ما نزل على قلب نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، فقد كان يتعبّد الله تعالى في غار جراء

{ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ قَلْبِي الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَغَارٍ جَرَاءٍ فَيَبْتَخُنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَرَوَّدُ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَرَوَّدُ لِمَنْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ جَرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ:

افْرَأْ، قَالَ: ما أنا بقاري، قال: فأخَذَنِي فَعَمَّيَنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فقال: افْرَأْ، فُلْتُ: ما أنا بقاري، فأخَذَنِي فَعَمَّيَنِي النَّائِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فقال: افْرَأْ، فَعُلْتُ: ما أنا بقاري، فأخَذَنِي فَعَمَّيَنِي النَّائِيَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فقال: {افْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) افْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} [العلق: 1- 3] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى حَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال: رَمَلُونِي رَمَلُونِي فَرَمَلُونَهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فقال لِحَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ حَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ حَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الصَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأُطْلِقَتْ بِهِ حَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بِنَ تَوْقَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّى ابْنِ عَمِّ حَدِيجَةَ وَكَانَ أَمْرًا تَتَصَرَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا فَذُ عَمِي، فَقَالَتْ لَهُ حَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أُخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أُخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأُخْبِرْتُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي تَزَلُّ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْ مُخْرِجِي هُمْ، قال: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ بُدِرْكِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ تَصْرًا مُؤَرَّرًا . ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَةَ أَنْ تُوقِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيَ {

(صحيح البخاري)

الله تعالى يخاطب النبي بقدرته ونبينا صلى الله عليه وسلم كان يُجيبه بقدرته البشرية:

والحقيقة أنَّ الله تعالى كان يخاطبه بقدرته، ونبينا صلى الله عليه وسلم كان يُجيبه بقدرته البشرية، فقدره الله شيء وقدره البشر شيء، هذا يُشبهه تماماً ما بَشَّرَ الله به زكريا، وقد بلغ من الكثير عتياً، فبشَّره بيحيى واستغرب؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۚ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ(40)

(سورة آل عمران)

ومريم عليها السلام استغربت؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا(20)

(سورة مريم)

فالله تعالى يخاطب عباده بقدرته، وقد يتحدثون هُم عن قدرتهم، وهذا شيء طبيعي، قدرة الله لا يحدها شيء أمَّا البشر إمكانيات، فالبشر تحدُّهم القوانين، لكن القوانين لا تحكُم واضعها جلَّ جلاله، فقوانين البشر أنَّ الأسباب تؤدِّي إلى النتائج، فالذي يتعلَّم يقرأ، الذي لا يتعلَّم القراءة كيف يقرأ؟ الإنسان إمَّا أن يقرأ من شيءٍ مسطورٍ أمامه، أو أن يقرأ من شيءٍ يحفظه في ذهنه، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **(ما أنا بقاري)** والله تعالى قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ ۚ إِذَا لَأَزَبَ الْمُتَبَلِّغُونَ(48)

(سورة العنكبوت)

لو كنت قارئاً لارتاب المُبطلون، ودخلت الريبة إلى قلوبهم وأدخلوها إلى قلوب الناس، بأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم اكتتب هذه الآيات، وقرأها من محفوظاته ومن معلوماته، وأنكروا عليه أن هذا وحْيٌ من الله تعالى.

وقال: **(الآزِتَاتُ الْمُنبِطُونَ)** لأنَّ غير المُبطل الذي لا يريد الباطل، يعلم أن هذا الكلام ليس كلام بشر، لكن المُبطل يجدها طريقةً للعبث، ولتشكيك الناس بأحقية القرآن الكريم، وأنه كلام الله تعالى.

الله تعالى لينظّم الكون جعل الأسباب تؤدّي إلى النتائج:

فالنبي صلى الله عليه وسلم أجاب: **(ما أنا بقارئ)** انطلاقاً من بشريته، والله تعالى قال له اقرأ انطلاقاً من قدرة الله المطلقة، التي لا تحتاج النتائج فيها إلى الأسباب، والله تعالى لينظّم الكون جلّ جلاله، جعل الأسباب تؤدّي إلى النتائج، فالإنسان إذا أراد الأولاد يتزوج، لأنَّ الزواج سبب للأولاد، لكن ربنا جلّ جلاله أحياناً يجعل الأسباب موجودة، ثم لا تؤدّي إلى النتائج، فيتزوج رجلٌ من امرأةٍ ويطلقها، وربما ذهب إلى الطبيب، وفحص الطبيب كليهما وقال: أنت تستطيع الإنجاب، وأنت تستطيع الإنجاب، حتى بالمُعطيات، وكما جرى ذلك، ثم يطلقها، فتتزوج غيره فتنجب ويتزوج غيرها فتنجب.

فربنا جلّ جلاله قد يجعل الأسباب موجودةً ولا تؤدّي إلى النتائج، والعكس من دون أسباب تكون النتائج، وهذه مريم عليها السلام، حملت ووَلَدَت دون أن يمَسَّها بشرٌ لماذا؟ لأنَّ الله تعالى يريد أن يوصل رسالةً إلى خلقه مفادها، أنَّ الأسباب لا تخلق النتائج، ولكنها تؤدّي إليها بقدرة الله وبإذنه، فإذا لم يَأْذَن الله لم تفعل الأسباب فعلها، فالنار لا تُحرق إلا بإذن الله، والسكين لا تذيب إلا بإذنه، فالنار لم تُحرق إبراهيم وقد وضع داخلها، والسكين لم تذيب إسماعيل رغم أنها وضعت على رقبتَه، فمفاد ذلك أنَّ الأسباب لا تخلق النتائج، الله هو الذي يخلق السبب والنتيجة، وعندما يريد يعطل الأسباب، لكن هذا يكون بحالٍ نادرٍ جداً، لأنه لو لم تكن الأسباب في الأعم الأغلب المُستفصّل المُشْتَهَر، تؤدّي إلى النتائج، لما استقامت حياتنا، فالمعادن تتمدّد بالحرارة قانون لا يتغير، لو أنَّ الله غيره يوماً وأعاد يوماً، ما استقام بناء ولا نشأ بناء، لأنه لم يَعدْ هناك قواعد للبناء، فشاء الله تعالى أن تكون الأسباب مرتبطةً بالنتائج برحمته وحكمته، لكنه يُعطّلها أحياناً، ليُفَتِّت نظرتنا إلى أنَّ الأسباب لا تؤدّي إلى النتائج بذاتها، وإنما بقدرة الله تعالى.

معنى: (اقرأ) (ما أنا بقارئ):

هذا معنى: **(اقرأ، قال: ما أنا بقارئ)** أي ما أنا بقارئ ببشرية صلى الله عليه وسلم، لكن الله تعالى جعله لا يقرأ فقط لقومه، وإنما يقرأ للأمة وللعالمين، ولا يقرأ في زمانه، وإنما يقرأ إلى يوم القيامة، بكتاب خالدٍ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والنبي أميٌّ وأمّيته وسامٌ شرفي بحقه، لأن الله تولى تعليمه فما احتاج إلى علوم البشر كلها، فالיום طالب الدكتوراه في كلية الشريعة، يدرّس بضع أحاديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فيعطى عليها شهادة الدكتوراه، لأنه درّس كلاماً قليلاً من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن الأعم الذي يقرأ ويكتب أم الذي لا يقرأ ولا يكتب؟

فيا أحياناً الكرام:

قال تعالى: **(اقرأ باسم ربك الذي خلق)** القراءة تكون في كتاب وتكون في الكون، الكون هو كتاب الله المنظور، والقرآن هو كلام الله المسطور، فأنت تقرأ إمّا في كتاب الكون، وإمّا في كتاب الله في آياته قراءة، اليوم الغرب والشرق يقرؤون في كتاب الله المنظور، كل المعارف التي نشأت في البشرية، هي قراءة في كتاب الله المنظور، قراءة في البحار، علوم في البحار، وعلوم للخلق التي تجري في البحر، قراءة في الفضاء، وصلوا إلى ما وصلوا إليه، واكتشفوا السنوات الضوئية، هي كلها قراءة في خلق الله، في كتابه المنظور، ونحن نقرأ في كتاب الله المسطور، نحن المسلمين نتعلم ديننا ولنتعرّف إلى ربنا، فالقراءة تكون في الكتاب المنظور أو وفي الكتاب المسطور، كلاهما قراءة.

الغرب اليوم يقرأ في الكون لكن لا يقرأ باسم ربه وإنما يقرأ باسم الحداثة والتطور:

فقال: **(اقرأ باسم ربك الذي خلق)** والباء هنا هي باء الاستعانة **(اقرأ باسم ربك)** أي مُستعيناً بالله تعالى، أي لا تقرأ في الكون إلا وأنت تستحضر أنَّ هذا الكون هو خلق الله تعالى، لأنَّ الغرب اليوم يقرأ في الكون، لكن لا يقرأ باسم ربه وإنما يقرأ باسم الحداثة والتطور، والحرب والطغيان، والتجبر والتكبر، والأسلحة والقنابل، والطائرات، فيقرأ قراءة بعيدة عن الإيمان، فذلك قال: **(اقرأ باسم ربك)** القراءة باسم الله ليست قراءة تبرّك فقط، نحن عندما نقرأ القرآن نقول: بسم الله الرحمن الرحيم، الموضوع ليس تبرّكاً فقط، لا شك أنَّ أي شيء تفعله باسم الله يتبارك، إذا شربت:

{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ كَلَامٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ أَثَرٌ - أَوْ

قَالَ: أَقْطَعُ }

(رواه الإمام أحمد في المسند)

فأنت تشرب بسم الله، وتأكل بسم الله، وتكتب بسم الله، عندما تُمسك قلماً لتكتب تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، أي أكُتِب مُستعيناً بالله، هذه اسمُها باء الاستعانة في اللغة، فهذا تبرّك لا شك، أي شيء يبدأ باسم الله فيه بركة، والشئ الذي لا يبدأ باسم الله فيه قطع، فهو أثير مقطوع عن الله، لكن الموضوع ليس مُجرّد تبرّك فقط، الموضوع هو حقيقة واقعة، لأن هذه المخلوقات التي تراها في الكون، أنت ما الذي تفعله عندما تقرأ في الكون؟ أنت حقيقةً تكتشف الترابط بين العناصر الموجودة في الكون فقط.

الطبيب عندما يداوي باسم الله تعالى، المرض خلق الله، والجسم خلق الله، والدواء خلق الله، فهو عملياً ماذا يفعل الطبيب؟ يحاول أن يكتشف القوانين، يربط الجسم مع المرض، يكتشف المرض الذي أصاب عضو من أعضاء الجسم، ويبحث عن الدواء الذي هو أيضاً من خلق الله تعالى، كي يجمعهم مع بعضهم فيكون الشفاء بإذن الله، لذلك قال صلى الله عليه وسلم:

{ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ }

(صحيح مسلم)

هو قانون، الطبيب يكتشف، اليوم عندما تُصنع الطائرة، إذا قرأها **(باسم ربك الذي خلق)** فالله هو الذي خلق الهواء، وهو الذي خلق الحديد، وهو الذي خلق البلاستيك، وهو الذي خلق ثروات الأرض، وهو الذي خلق الطيار، وربنا عزَّ وجل هو الذي جعل في الهواء خاصية، أنه يحمل هذه الأثقال، والإنسان عندما قرأ، قرأ باسم ربه الذي خلق، فجمعهم مع بعضهم فطارت الطائرة في الهواء، أمّا ربنا عزَّ وجل لو شاء أن لا يكون هناك خاصية في الهواء، أن يحمل تلك الأثقال لما حملها، ولو لم يخلق له العصفور طير، لما اهتدى إلى أنه يمكن أن يطير بالهواء كما يطير العصفور مثلاً.

كل شيء تقوم به في الكون هو قراءة بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ:

فكل شيء تقوم به في الكون هو قراءة **(بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)** أنت تقرأ باسم الله، لا تقرأ باسم العلم ولا باسم الشعب، تقرأ **(بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)** هو الذي خلق القانون، وهو الذي خلق الشينين، وأنت من خلال القانون الذي خلقه الله تربط بين شينين خلقهم الله، فتقول المعادن تتمدد بالحرارة، فالمعادن خلق الله، والحرارة خلق الله، والتَّمَدُّد خلق الله، وأنت اكتشفت فقط أنَّ المعادن تتمدد بالحرارة **(افْهَمْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)** انتبه!! هو الذي خلق وليس أنت من خلقت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2)

(سورة العلق)

ثم لفت نظره إلى أقرب شيء إليه، إلى جسمه، يعني قبل أن تقرأ في الكون كله، اقرأ في جسمك، أنت انظر إلى نفسك، تجد العين تتألف من: قرنية وقزحية وشبكية وماء العين، وخلايا تتغذى بالحلول وليس بالشعيرات، حتى لا ترى وكأنك دائماً من خلال منخل، فجعل كل خلية تأخذ غذاءها وغذاء جارتها.

الشَّعْر: منه أو مئتي ألف شعرة وسطياً، كل شعرة لها عدة دهنية، وغدة صبية، وشريان ووريد، وعضلة، وأُذنان تلتقطان مصدر الصوت وجهة الصوت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8)

(سورة البلد)

وأنف فيه ذاكرة شمّية عجيبة، بحيث إذا شممت الكمون كيف عرفت أنه كمون؟ دَخَلَتِ المادة والكمون له شيفرة، انتقلت إلى الدماغ وتعرّف عليها، ثم أعطاك من آلاف المواد التي شممتها في حياتك بأنّ هذه كمون، والتذوّق نفس الشيء، وفلان من الناس يتصل بك، ومنذ فترة طويلة لم تسمع صوته، عاد صوته وتعرّف في ذاكرة الأصوات عندك، وعرفت بأنه فلان من الناس، وكذلك اليدين والرجلين والكبد الذي يقوم بالآلاف الوظائف، والكليتين اللتين تُصَفِّيان الماء في اليوم عدد كبير من المرات، ووو إلى آخره...

هذا الخلق كله الذي بين يديك ما أصله؟ قال: **(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)** قطعة دم غليظة رطبة، علقت بجدار الرحم، لأنها لا تستطيع أن تقوم بغذائها بنفسها، تستمد غذاءها من جدار الرحم، هنا بدأ الخلق، قبله النطفة، لكن الحقيقة بدأت عندما علقت بجدار الرحم، فأصبح هناك خلق فقال: **(مِنْ عَلَقٍ)** جاء بهذه المرحلة.

الله تعالى في القرآن يُعَلِّمُنَا إِذَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ أَنْ نَدْعُوهُ بِحَمْدِهِ وَفِي الشَّيْءِ وَأَصْلِهِ وَفِي الشَّيْءِ وَعَدَمِهِ وَفِي الشَّيْءِ وَخِلَافِهِ مَا هُوَ عَلَيْهِ:

إذاً هذا كله من أين أتى؟ شعر وأظافر وعدسة كله من أين أتى؟ من علقي لأنه علقي في جدار الرحم **(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)** لذلك ربنا جلّ جلاله في القرآن يُعَلِّمُنَا إِذَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ أَنْ نَدْعُوهُ بِحَمْدِهِ وَفِي الشَّيْءِ وَأَصْلِهِ وَفِي الشَّيْءِ وَعَدَمِهِ وَفِي الشَّيْءِ وَخِلَافِهِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، في الشيء وأصله هذه الآية **(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)** شيء يجعلك تُعَظِّمُ الله وتُحَيِّيه، عندما تنتظر إلى ابنك فتقول: كان علقه وأصبح إنسان.

وأن تتفكر في الشيء وعدمه لو لم يكن موجوداً قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (30)

(سورة الملك)

الآن يوجد ماء، لكن لو لم يكن هناك ماء؟!!

الحالة الثالثة في الشيء وخلاف ما هو عليه: شيء موجود لكن بطبيعة ثانية أيضاً مشكلة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يُأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71)

(سورة القصص)

والعكس بالعكس، الماء لا لون له ولا طعم ولا رائحة، هذا وضعه الطبيعي، لو كان الماء موجود لكن بخلاف ما هو عليه، يعني على فرض أنَّ لونه زهري، لصيغ الدنيا باللون الزهري، إذا أردت أن تهمسح الأرض يُصبح لونها زهر، لم يَعد الماء يُستخدم وسيلةً للتنظيف، لو كان له طعم، يُحبُّه بعض الناس ولا يُحبُّه الآخرون، لو له رائحة شيء وخلاف ما هو عليه **(اقرأ باسم ربِّك الذي خلق (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)** هذه القراءة الأولى تُسمِّيها قراءة الإيمان، يعني لا تقرأ في الكون قراءة، ولا تقرأ في القرآن قراءة، إلا من دافع إيماني، أن تكون هذه القراءة باسم الله، إذا باسم الله تفودك هذه القراءة إلى تعظيم الله ومحبة الله، كثير من الغرب قرأوا في الكون أكثر مما قرأ المسلمون، ولكن ليس باسم ربك الذي خلق، سوف يأتي في نهاية السورة، ما الذي أدت به هذه القراءة البعيدة عن الإيمان.

القراءة الثانية هي قراءة الشُّكر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3)

(سورة العلق)

ما قال الكريم هنا، قال الأكرم، ربنا من أسماءه الكريم ومن أسماءه الأكرم، الأكثر كرمًا، أكرم في صفاته، أكرم في آياته، أكرم في خلقه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4)

(سورة العلق)

العلوم تنتقل بالمشافهة:

العلوم تنتقل بالمشافهة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)

(سورة الرحمن)

تكلم، هذا البيان نعمة من نعم الله، حتى الكائنات الأخرى ربنا جعل طرقًا للتخاطب بينها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتِ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَخْطِمْكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18)

(سورة النمل)

لكن نحن ما عُلمنا منطق الطير، لكن هم يتخاطبون، لكن نحن عُلمنا البيان، أرقى مستوى في التخاطب، لغة، العربية وغيرها، هناك بيان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31)

(سورة البقرة)

الأشياء لها مُسمَّيات، لكن البيان واللغة ينتهي بنهاية الإنسان، بنهاية المجلس، لكن ما الذي يجعل البيان ينتقل من قوم إلى آخرين، بالقلم، تُصبح ثقافة أي أمة ليست حكراً عليها، وإنما هي لمجموع الناس، تقول: اقرأ كتاباً لفلان من الناس مُتوفى من مئة سنة **(عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)** والترجمة تنقلها من قوم إلى قوم، تقول: قرأت كتاباً مترجم عن الإنكليزية، فبالبيان المُشافهة، وبالقلم تنتقل العلوم من أشخاص إلى آخرين، عبر البُعد الزماني والمكاني، وبالترجمة تنتقل ليس من جيل إلى جيل، وإنما من قوم إلى قوم، هذا كله أجمله الله قال: **(عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)**.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)

(سورة العلق)

هذه قراءة الوحي والإذعان.

القراءة الأولى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) قراءة الإيمان، هذه أصل القراءات.

القراءة الثانية: قراءة الشُّكر (وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) ما الذي يقابل أنه كريم؟ أن تشكره، تقول: فلان كان كريماً معي جداً، وأنت ماذا صنعت؟ شكرت له.

القراءة الثالثة: (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) قراءة الوحي والإذعان، أي أنت مهما بلغت من البيان والقلم والقراءة في الكون، هناك أشياء لا تعلمها لا بُدَّ أن يُعَلِّمَكَ الله تعالى إِيَّاهَا، هذا الجانب الغيبي هو الجانب الذي غفل عنه الغرب وكثير من الشرق، أنت مهما بلغت، في مكان مُعَيَّن، سُبِّعَ لَكَ العلم مباشرة، من غير أن تبحث أنت، لأنه مهما بحثت في الكون، لن يقدرك هذا البحث وحده، إلى أن هناك يومٌ آخر، ولا إلى أن هناك ملائكة، ولا إلى أن هناك صراط وقيطرة، وجنة ونار، وحساب وعقاب، هذه كلها يُعَلِّمَكَ الله إِيَّاهَا، فأنت ما دمت قرأت قراءة الإيمان وقراءة الشُّكر والعرفان، إذا ينبغي أن تُدرك تماماً، أن هناك أشياء لا تعلمها سُبِّعَ لَكَ العلم الله إِيَّاهَا.

مِيزة المؤمن أنه بلحظة مُعَيَّنة يستسلم ويستقبل الوحي:

هذه مِيزة المؤمن، أنه بلحظة مُعَيَّنة يستسلم ويستقبل الوحي، أمّا اليوم قد تجد إنساناً يقول لك أُنحِثُني عن الغيبات، والجنة والنار، والناس أصبحوا في القرن العشرين، أو يضعوا صورة في الانترنت لطلاب بوكالة ناسا للفضاء، يتعلمون عن الفضاء وعلوم الفضاء، وطلاب بجامعة خليجية يُعَلِّمُوهم دُفن الميت، يقول لك انظر أين هم وأين نحن؟ ما هذه المُقاربة الفاشلة؟! هم لن يموتوا نهاية المطاف، هناك نقطة آخر شيء، هناك غيب عند المؤمن، هناك مكان **(عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)** في مكان سيقول لك ربنا عز وجل، هكذا طريقة الدفن، وهكذا طريقة الصلاة، وهكذا طريقة العبادة، تقول له سمعاً وطاعة يا رب، هذه مِيزة المؤمن، فالكون ليس مُجَرَّد قراءة عابرة، من أجل أن نستفيد منها سنتين سنة وتنقضي الدنيا، الذي لا يُدرك بأن هناك أشياء يُعَلِّمُهُ الله تعالى إِيَّاهَا، من غير النظر والتأمل الذي جعله الله تعالى مُهماً جداً لعمارة الأرض، وأمر الناس أن يقوموا به، عنده قراءة ناقصة **(عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)** إذا لم يقرأ الإنسان هذه القراءات بهذه الطريقة، بطريقة الوحي، بطريقة الإيمان، ما النتيجة؟ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ (6)

(سورة العلق)

تُصبح قراءته قراءة طُغيان في الأرض، يستخدم كل ما يصل إليه من خلال قراءة الكون بإفساد الكون، ونرى اليوم في الأرض هذا الفساد العريض، الذي يحصل من قراءات غير إيمانية، سواءً الفساد على المستوى الفردي، فساد النساء، فساد العلاقات، فساد المعاملات، سواءً الفساد العظيم في الأرض، اليوم تُصنع أعتى الأسلحة، من أجل قصف شعب لا يملك من أمره شيئاً، يُقصف بالقنابل العنقودية، والانشطارية، والقنابل الذكية، والقنابل الخارقة، والحارقة، والمتفجرة، هذا ما صنعه الإنسان عندما قرأ الكون بمعزل عن قراءة الإيمان وقراءة الوحي والإذعان، تكون هذه هي النتيجة، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ (6) أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْثَى (7)

(سورة العلق)

طاعة الله واستغنى عن الله، يعني عندما يقول في ذاته، أو نسمع ذلك موجود في مجتمعات اليوم كثيرة، نحن استغينا، نحن اليوم نقوم بأمرنا لا حاجة لنا للإله، هكذا بكل وقاحة، هذه هي النتيجة (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِفٌ) (6) إِنَّ رَأْيَهُ اسْتَفْتَى) يعود ربنا جل جلاله ليذكرنا، بأنك إن نسيت هذه الحقيقة الكبرى، فلا يمكن أن تتغافل عن أن الرجعى إليه جل جلاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (8)

(سورة العلق)

افعل ما شئت لكن اعلم أن المرجع إليه جل جلاله وستحاسب على كل فعل:

أنت افعل ما شئت، لكن اعلم أن المرجع إليه جل جلاله، وستحاسب عن طغيانك، ستحاسب عن استخدامك للكون في إفساد الكون، ستحاسب عن النفوس التي أزهقت، إلى آخره... (إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ) هذا النصف الأول من السؤال.
النصف الثاني:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (9)

(سورة العلق)

قصة أبي جهل المعروفة، بأنَّ أبا جهل منع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة واستهزأ به، النبي صلى الله عليه وسلم ردَّ عليه، فقال أبو جهل: إِنَّ عِنْدِي نَادِيًّا، أي مجلس عظيم يفعل ويفعل، فاعتزَّ بعشيرته وناديه ومجلسه المعروف، هذه أصل القصة، لكن القرآن لا يأتي بالقصة فيقول أبو جهل قال، حتى لا تُصبح القصة تاريخ، الموضوع هو قانون وليس تاريخ، فجاء بها لتُصلح لكل زمانٍ ولكل مكان.
قال: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى) انظر إلى هذا السلوك، انظر إليه، انظر إلى طغيانه، انظر إلى أفعاله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (10)

(سورة العلق)

انظر إليه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (11) أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ (12)

(سورة العلق)

هذا القمهي عن الصلاة (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ) مهدياً إلى الله (أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ) ويدعو الآخرين إلى تقوى الله تعالى.
ثم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (13)

(سورة العلق)

الناهي عن الصلاة، الناهي عن العبادات، الناهي عن الطاعات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14)

(سورة العلق)

فنحن أمام نموذجين:

نموذج ملتزم بأمر الله، قائم بشعائر الله، يؤدّي ما افترض الله عليه، ويدعو الآخرين إليه.
ونموذج مُفْسِد في الأرض، يمنع الآخرين من القيام بشعائهم، ومن الدعوة إلى الله تعالى.

انظر إلى الرسول وانظر إلى أبو جهل كم يلعن اللاعنون أبا جهل وكم يُصَلِّي المُصَلِّون على رسول الله:

انظر إلى هذا وانظر إلى هذا، وربنا عز وجل ما قال لك ماذا ستري، أنت انظر وحدك، اليوم انظر إلى رسول الله وانظر إلى أبو جهل، كم يلعن اللاعنون أبا جهل، وكم يُصَلِّي المُصَلِّون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، اذهب إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قف أمام قبره وانظر، كم يُصَلِّي ويُسَلِّم عليه الناس في كل لحظة وفي كل أن، يمرّ ملايين الناس في كل عام ليقولوا: السلام عليك يا رسول الله، وينعمون بهذا السلام، هؤلاء الذين يصلون، والذين لا يصلون آلاف الملايين حول العالم، يُصَلُّون كل يوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُسَلِّمون عليه، ويرجون رؤيته، ويظهرون شوقاً إليه، ويستيقظ الواحد منهم مُتَنَبِّهاً لأنه رأى رسول الله في منامه، وانظر إلى أبي جهل من يتصرّى عنه اليوم، أو من يذهب لبحث عن قبره في المدينة (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّى)، (أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) ماذا أرى يا رب؟ أنت انظر إلى النتائج..

ربنا عز وجل بسورة الماعون قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2)

(سورة الماعون)

هو نفسه الذي لا يؤمن بيوم القيامة، بالحساب وبالجزاء، انظر إلى معاملاته، انظر إلى طبعه، وانظر بالنتيجة إلى من يؤمن بيوم القيامة، فهذه كلمة (أَرَأَيْتَ) في القرآن هي دعوة لك في النظر والتأمل في المال، في العاقبة، لما نزلت هذه الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن فعل أبو جهل ذلك، ربما أبو جهل بضيق أفقه، بكفره، بجهله، ما نظر بالمآلات، لو نظر بالمآلات وكيف القرآن يُخاطبه وهم أرباب اللغة، كان أسلم، الله عز وجل يقول له: (أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) (13) أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى).

أنت اليوم إذا كنت في أي موطن، أو في أي مكان، وذاثتكَ نفسك بشيء لا يرضي الله تعالى، تذكر (أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) إذا كان الله يرى فلا تفعل، وإذا كان الله يرى فإن فعلت فبادر إلى التوبة فوراً، لأن الله يراك.

قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَذَلِكَ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يُفْهِمُكَ أَلْفَاظًا وَلَكِنْ يُلَقِّنُ خِلَافَ مَا تُبْغِي (15)

(سورة العلق)

هذا الذي يمنع الناس من الخير، يمنع الناس من الحق، يمنع الناس من أداء واجبهم تجاه الله تعالى وتجاه خلقه (كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) لناخذن بناصيته، والناصية هي الشعر في مُقَدِّم الرأس، أي لناخذن بها، يُقال سفعت بيده أي أخذت بيده (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) أي لناخذن بناصية رأسه.
وقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُعْرِضُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيْمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَفْدَامِ (41)

(سورة الرحمن)

يعني تُجمع ناصيته مع قدمه فيُلقي في نار جهنم (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) ثم قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَاصِيَةً كَازِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16)

(سورة العلق)

في الناصية يكون مركز الأفعال والأقوال:

هنا في الناصية يكون مركز الأفعال والأقوال، فالقول كذب والفعل خطأ، ماذا في الناصية؟ إمّا أنك تُفكّر أن تفعل، أو تتكلم، فإذا تكلم فهو كاذب، وإذا فعل فهو مُخطئ، ففعله خطأ وكلامه كذب، ماذا بقي له؟ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَاصِيَةً كَازِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (17)

(سورة العلق)

عشيرته، مجلسه، أقرانه، من يقف معه (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) انظر إلى التحدي الرباني:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (17) سَدَّعُ الرَّبَّائِيَةَ (18)

(سورة العلق)

قارن بينهما، وازن، ربنا ماذا عنده وما هو النادي الذي عنده؟ يعني إذا أراد الإنسان أن يقف في موقف مُعادي للحق، فاعلم من هو الطرف المقابل الذي يقف لك، ربنا عز وجل قال بسورة التحريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4)
(سورة التحريم)

لزوجتي رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) يعني كل واحدة تقف بظهر الثانية ليكيدا لرسول الله، هي غيرة نساء فقط وليست عداوة حق.
(وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) سند، كما لو أنَّ جنديان بأرض المعركة تمرّدوا، هل هذا بحاجة لقائد الجيش وقائد الدولة؟! ليعلم من يقف في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن يقف مع رسول الله، أي إنسان يُفكر أن يُعادي الحق، حتى تعلم من هو وراء الحق.

معنى الزبانية:

فهنا قال: (فَلْيَذْغِ نَادِيَةً) تهديد (سَتَذْغُ الزَّانِيَةَ) والزبانية هُم ملائكة العذاب، وهذه تبدأ من لحظة خروج الروح، يدعو الله الزبانية، وتمتد إلى نار جهنم والعباد بالله، والزبن في الأصل في اللغة هو الدفع، زينه أي دفعه، والزبون الذي يأتيك في الدكان لأنه يدافع كثيراً وبفاصل، سَمِيَ زَبُونًا، فالزبن هو الدفع، والزبانية يدفعون المُستحقين النار في نار جهنم (سَتَذْغُ الزَّانِيَةَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا لَا تُطِيعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝ (19)

(سورة العلق)

كلا أداة ردع وزجر، أي تنهاك بقوة أن تطيع من ينهاك عن الحق، أو أن تطيعه في معصية الله تعالى، لا تُطِيعُهُ واسجد لله تعالى، واقترب منه جلّ جلاله، فهو الذي يحميك ويعصمك من الناس.

الدعاء:

اللهم نصرًا لإخواننا في عِزَّةٍ عاجلاً غير آجل.

اللهم إنا نسألك يا أرحم الراحمين، يا أكرم الأكرمين، أن تُفَرِّجَ عنهم ما نزل بهم، وما أهَمَّهُمْ وما أَعَمَّهُمْ، وأن تُنَزِّلَ عليهم من الصبر أضعاف أضعاف ما نزل بهم من البلاء.
اللهم مُجْري السحاب، مُنْزِل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب، اهزم الصهابة المعتدين وَمَنْ والاهم، وَمَنْ أَيْدَهُمْ، وَمَنْ وقف معهم في سِرٍّ أو علن.

اللهم إنا نسألك يا أرحم الراحمين، يا أكرم الأكرمين، أن تُطْعِمَ جائع أهل عِزَّةٍ، وأن ترحم شهداءهم، وأن تكسو عريانهم، وأن ترحم مصابهم، وأن تؤوي غريبهم، وأن تغفر لنا تقصيرنا معهم يا أرحم الراحمين، فإنك أعلم بالحال، وأن تُهيئَ لهذه الأمة أمر رشيد يُعْرِضُ فيه أهل طاعتك ويُهدى فيه أهل عصيانك، ويُذل فيه الطغاة والمجرمون، ويؤمَّر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر، إنك وليُّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.